التسوية

وجه جديد لمرحلة جديدة؟

الانتخابات التي جاءت ببيغن عام ١٩٧٧ شكلت محورا اساسيا من محاور التسوية . فمجيئه ، اضافه الى كونه نتيجة لتصاعد العنصرية الصهيونية ، كان الى حد كبير تركيبة داخلية — اميركية . واذا ما امسكنا الخيوط التي تشابكت قبل قليل من موعد الانتخابات المذكورة، تبين لنا بوضوح اثر اليد الاميركية في الطبخة الانتخابية .

فاخبار الفضيحة المالية التي كان بطلها « رابين » والتي ضخمتها الصحافة الاميركية ، جاء توقيتها مقصودا تماما ، وكذلك عملية انشقاق « يادين » عن حزب العمل وتشكيله « داش » المعروف بعلاقاته الوثيقة بالدوائر الاميركية . نفس الموقف الاميركي مثله ايضا الشمار الذي اشاعته الصحافة الاميركية والذي يقول « سلام الصقور اقوى من سلام الحمائم » .

هذا التخطيط الاميركي — « الاسرائيلي » لجعل بيغن يفوز بالانتخابات ، لم يكن صدفة ، فقد كانت تلوح في الافق بوادر « مبادرة » السادات واستعداده لخوض المفاوضات ، وكان لا بد من وجه جديد للمرحلة الجديدة ، فوقع الاختيار على بيغن كونه صاحب مدرسة في الارهاب والعنف وشخصية متصلبة ومتطرفة صهيونيا ويمكنه ان يفرض على مفاوضيه شروطا لا يستطيع حزب العمل الحاكم آنذاك فرضها .

لكن ماذا بعد مجيء بيغن ؟ التفاصيل معروفة ولا حاجة لتكرار . ما يتكرر الآن هو اللعبة ذاتها : لعبة الانتخابات واستبدال الوجوه !

بعد أن قطعت معاهدة الخيانة شوطا لا باس به في التنفيذ ، وتركز نشاط اطرافها الثلاثة على تحقيق المزيد من التطبيق العملي لها ، وجد هؤلاء ان لا بد من ان تخطو مؤامرة كامب ديفيد خطوة جديدة ، ولم يلزم اي وقت ليعرف الجميع ان الخطوة القادمة ستكون باتجاه الاردن ، نظرا لماضيه الخياني الحافل اولا ، ولعلاقته الجغرافية والسياسية المباشرة بالضفة الغربية ثانيا ، ولكون الاردن ، ثالثا واساسا ، البديل السياسي الرجعي لوحدانية تمثيل الشعب الفلسطيني وصاحب مشروع « المملكة المتحدة » الشهير .

اما كيف يتم التقرب من الاردن ؟ ففيما يلي بعض التفاصيل :

يلاحظ المراقبون ان هناك الآن في صحافة الغرب الامبريالي تركيزا على الازمة الاقتصادية داخل الكيان الصهيوني وابرازا لها . هذه الازمة رغم وجودها فعليا وبشكل مستمر منذ بداية تاسيس الكيان الصهيوني ، لم تكن يوما موضوعا للبحث في الصحف المؤيدة للدولة العنصرية !

وهذا الحديث عن نسب التضخم الهائلة رافقته حملة من الداخل تندد ببيغن الى الاستقالة ويقودها حزب العمل المعارض . فمنذ حوالي الشهرين وقع ٢٧ نائبا في الكنيست مذكرة طالبوا فيها الحكومة بالاستقالة ، وباجراء انتخابات جديدة قبل سنتين من موعدها الرسمي . اضافة الى ذلك تعرضت الحكومة « الاسرائيلية » الى حملة ضغوط سياسية قوية تمثلت في طرحها الثقة بنفسها امام البرلمان ثلاث مرات في جلسة واحدة ، وترافقت مع « انتقادات » اميركية لعملية بناء المستوطنات .

هناك اذا مسعى لاستبدال حكومة بيغن ، قد يساعد مرضه في ذلك ، بحكومة عمالية يرئسها بيريز . وهذه الحكومة المرتقبة ستكون مهمتها الاتصال مع الاردن وادخاله في المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية ومشروع « الحكم الذاتي » ، خاصة ان بيريز يعد من اكثر الصهاينة « انفتاحا » على طروحات النظام الهاشمي .

في هذا الاطار ، اطار التهيئة لمرحلة جديدة من مراحل التسوية بكون النظام الاردني فريقها العربي ،

اتفاق تجاري بين شركتين مصرية « واسرائيلية »

ذكر موشي بالا مسؤول مجمع « كور » الصناعي الصهيوني ان المجمع تبادل مذكرات مع شركة مصرية من شركات القطاع الخاص تمهيدا لاقامة تعاون تجاري بينهما . ويقضي الاتفاق بين الشركتين بانشاء فرع لكل منهما في القاهرة وتل ابيب .

واضاف موشي بالا ، ان الشركة لا ترغب في ذكر اسمها حتى لا تتعرض للمقاطعة العربية . وقال ، ان التبادل التجاري سيقتصر في البداية على نقل بضائعها عن طريق الموانىء الاوروبية ، على ان يكون التبادل المباشر عن طريق العريش في مرحلة لاحقة .

وكان اثنان من ممثلي الشركة الاسرائيلية قد زارا القاهرة مؤخرا ، وناقشا اقامة عدة مشروعات صهيونية في مصر

قام بيريز بزيارته الى مصر حيث التقى السادات وخليل . وكان للزيارة اهمية بالغة ، فقد عرض بيريز على مضيفه المصري مشروعه الذي يعتبر « حلا وسطا » بين مشروع « المملكة المتحدة » الاردني ومشروع « خطى المستوطنات » الصهيوني . وفي مقابلة مع صحيفة « السياسي » المصرية قال زعيم المعارضة انه يرى ان تقوم « دولة اردنية — فلسطينية » تشمل الضفتين الغربية والشرقية لنهر الاردن ، على ان تحتفظ « اسرائيل » بشريط بين الارافي « لاسباب امنية » .

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده في تل ابيب وقيم فيه زيارته لمصر قال بيريز انه واثق من ان « التسوية التي يدعو اليها حزب العمل في شان الضفة الغربية وقطاع غزة كان يمكن ان تكون مقبولة اكثر لدى مصر . ان مشروعا يفتقد شريكا يفاوض حوله ليست له قيمة كبيرة ، والمشروع « الاسرائيلي » للحكم الذاتي لم يجد محاورا ، في حين ان مشروعنا اداعي الى تسوية على اساس الحوار مع الاردن ينطوي على امكان الخوض فيه » .

واعرب بيريز عن اعتقاده بان « المناطق ذات الكثافة السكانية العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة يجب ان تعود الى السيادة الاردنية » .

تلك هي الخطوط الاولى لما قد يجد من تطورات على صعيد التسوية ، لكن ماذا عن الطرف الفلسطيني ؟

خمسة من رؤساء بلديات الضفة الغربية سافروا الى الولايات المتحدة الاميركية تحت حجة المشاركة في « يوم فلسطين » الذي تنظمه « جمعية الصداقة العربية الاميركية » ، من المتوقع ان يجروا محادثات مع كبار المسؤولين في وزارة الخارجية الاميركية .

هذه الزيارة تاتي في خضم التصريحات الاميركية عن « الفلسطينيين المعتدلين » والذين يمكن ان يشاركوا حسب تصريحات السفير الاميركي المتجول « شتراوس » في جولة المفاوضات المقبلة بين مصر و « اسرائيل » . وتترافق ايضا مع ازدياد التصريحات الاميركية « المهينة » بوضع الفلسطينيين « والمعارضة » لسياسة الحكومة الصهيونية في بناء المستوطنات .

واذا كان المراقبون يرون في التصريحات والمواقف اللفظية الاميركية محاولة لدق اسفين بين سوريا والمقاومة وبين المقاومة والسوفيات ، وكذلك رغبة اميركية في تصوير الوضع بانه مسالة وقت وبلتهل الجميع بركب السادات .

الأزمات في مصر تتفاقم وتزداد حدة

يشير المراقبون الى ان احتفالات مصر هذا العام بذكرى ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ جاءت فاترة وخالية من الاحساس بالتغيير والانجازات بعد ان انحرف الرئيس السادات بالثورة وفرط بمكتسباتها وانجازاتها وارتمى في احضان الامبريالية والعدو الصهيوني ووقع معاهدة الذل والخيانة واعلن بوضوح عن تفرغه للقيام بمهمات دركي الامبريالية في المنطقة العربية والقارة الافريقية .

وعلى الرغم من ان السادات لم يلق خطابه الا بعد مرور ايام على المناسبة، فان نائبه حسني مبارك حاول كعادته في الكلمة التي القاها اذكاء الاحساس « بالمصرية » واغرق في تحليلاته المغلوطة الرامية الى قلب الحقائق وتصوير الهزيمة والاستسلام وكانها نصر مبين ما بعده انتصار .

اما الرئيس السادات الذي كان قادما لتوه من معركة التضليل والخداع في مؤتمر مونروفيا فقد حاول ذر الرماد في اعين المصريين لحجب الرؤية عن حقيقة الازمات التي توشك ان تعصف بالشعب المصري وبمصر ذاتها من جراء تنازلات السادات وسيره في ركاب الامبريالية والعدو الصهيوني ، وذلك عندما حاول عبثا التركيز على محور وهمي من السعودية والعراق ينتج للعراق انتزاع زعامة الخليج العربي بعد رحيل شاه ايران.

اعتراف بالازمات

ولكن ورغم كل جهود المخابرات الساداتية في صياغة خطابه لاخفاء الحقائق فان السادات لم يستطع ان يخفي حقيقة ما يجري على الارض المصرية ، وذلك عندما اعترف بان المقاطعة العربية الاقتصادية لنظامه قد حققت اهدافها وان الشعب المصري يعاني ازمات وبعاني من التجويع ايضا «لان العرب ارادوا له ذلك لحمله على قلب النظام الحاكم » .

وقد حملت تقارير عديدة من داخل مصر انباء تذمر واسع في اوساط القوات المسلحة المصرية وذلك في اعقاب نقل الوحدات الرئيسية من منطقة القناة الى الحدود مع الجماهيرية الليبية ، وانتشر بين ضباط وجنود هذه الوحدات التساؤل حول الهدف من وجودهم على الحدود الليبية ومدى وطنية مثل هذه السياسة .

كما تصاعد التوتر في سلاح الطيران بعد المعركة الجوية السورية — « الاسرائيلية » في الاجواء اللبنانية اذ اثارت هذه المعركة في اوساط الطيارين مقارنة بين ما لدى العدو الصهيوني من طائرات وما وعدت به واشنطن مصر وانتهت المقارنة الى وضوح عدم فعالية طائرة (ف — ٥) الموعودة في مواجهة الطيران الصهيوني .

وكانت النتيجة صارخة الى حد ان قائد سلاح الطيران صرح علنا امام الطيارين بقوله : « بهذا نصبح عاجزين عن الدفاع عن الوطن » وقد كلفه هذا التصريح منصبه اذ اقيل بعد فترة وجيزة ليحل محله ضابط مغمور .

ولا تقتصر اعراض الازمات على هذه الامور وانما تتعداها الى الحياة السياسية حيث بدأ الرئيس السادات وبضغط امريكي اللعب على الطائفية عن طريق استقطاب طائفة الاقباط وفق مخطط تشرف عليه وكالة الاستخبارات الاميركية حيث اوشنطن اقنعت السادات بانه يمكن ان يجعل من الكنيسة القبطية في مصر قاعدة ثابتة مؤيدة لنظامه ، وهذا ما حدث بالفعل حيث اصدرت الكنيسة القبطية تلبية لرغبة السادات توجهها بحرم التصويت لمرشحي اليسار في انتخابات مجلس الشعب الاخيرة .

ازمة الديمقراطية

ومع اعلان السادات عن انتهاء الحرب بتوقيع معاهدة الاستسلام فان الاحكام العرفية ما زالت قائمة وتتساءل الجماهير المصرية :

« اذا كانت الحرب قد انتهت وهي التي كانت سبب الازمة الاقتصادية فلماذا تستمر الازمة الاقتصادية وتزداد حدة ؟! »

وبالطبع ، فان هذه المواقف والازمات في مجموعها تسرع في نمو قوى المعارضة الداخلية على الرغم من ازدياد القمع وسلب الحريات ومصادرتها في مصر .

البحث عن مخرج من الازمات

وامام تفاقم الازمات في مصر وازدياد العزلة المفروضة حول النظام المصري داخليا وعربيا فان بعض المراقبين يرون ان السادات يفكر جديا في غزو ليبيا بطريقة الغزو النازاني الى يوغنده لاقامة نظام موال له لا يشكل عقبة في وجه المخططات الاستسلامية والتآمرية التي يعدها السادات مع الامبريالية والعدو الصهيوني .

ويرى هؤلاء المراقبون ان المعاهدة المصرية — « الاسرائيلية » هي جزء من خطة عسكرية اميركية جديدة في منطقة الخليج والشرق الاوسط وافريقيا وهذا ما يفسر ارسال ٥٠ الف جندي مصري الى السودان وكذلك ارسال ١٥٠٠ جندي اخرين الى السلطنة بحجة القيام بالدور الذي كان يقوم به الجيش الايراني قبل انتصار الثورة الجماهيرية هناك .

ولان العدو الصهيوني سيتكفل بالجبهة الشرقية (سوريا والعراق) حسب قناعات القيادة المصرية فان ١٠٠ الف جندي مصري تم حشدهم على حدود الجماهيرية الليبية ستفي بمسؤولياتها في تخليص السادات من الداعية الناصرية ومن نواة جبهة الصمود والتصدي على اعتبار ان الجماهيرية تمتلك تسليحا حديثا وكبيرا لقواتها المسلحة .

■

محجوب الشاهد والشهيد

مرت ذكرى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب في ٢٤-٧ و « الهدف » في عطلتها السنوية، ثماني سنوات والجماهير في السودان والوطن العربي والعالم، لم تنس ولا يمكن لها ان تنسى ذكرى المحجوب ، انه يمثل ، النموذج الفذ ، للمناضل الصلب، المدافع عن مصالح الفقراء ، والذي رسم بمسيرته حياته الحافلة بالمعارك ، علامات انتصار الثورة على دروب المستقبل .

محجوب ، ستظل في الذاكرة ، لانك كنت ، الشاهد والشهيد ، والمشعل المضيء على دروب المستقبل .